

النشاط العام جميعها. لذا لا يسعنا إهمال القليل مما تسرّب إلى العلن بروايات رجالات السلطة، لكن مع التنبيه مسبقاً بأن المتداول منها ينبغي أن يخضع للتحقيق، ولعل كتاب باتريك سيل (الأسد والصراع على الشرق الأوسط) من الأمثلة على الكتب التي صارت مرجعية على الرغم من أنه بمعظمه ينقل رواية حافظ الأسد كما كان يودّ أن تُسجّل وتبقى.

## حافظ ورفعت: الأسدية بجناحين

عمر قدور<sup>(1)</sup>

### أولاً: مقدمة

#### ثانياً: المقاتل والسياسي؛ الجريء والمتأنّي

من أولى الأقاويل عن الأخوين التي راجت بين السوريين أن حافظ الأسد سأل أمه ناعسة رأياً، بحضور رفعت، وكان رفاقه/ الأعداء يعرضون عليه الإقالة من منصبه وزيراً للدفاع في المؤتمر العام للحزب المزمع عقده، وتعيينه سفيراً في إسبانيا أو فرنسا.<sup>(2)</sup> أتى ردّ الأم تقليدياً، إذ تمتّ عليه اتخاذ القرار الصائب الحكيم. أما رفعت، فانتفض في وجه أخيه الكبير، متهماً إياه بالجبن والتخاذل في ما لو قيل بالعرض.

منطقيّاً، إذا سلّمنا بصواب هذه الرواية، يُفترض أنها خرجت للتداول عبر واحد من شخصها، ومن المرجح أنه رفعت. وفي حال كانت رواية كاذبة، فإن تأليفها على هذا النحو ليس اعتباطاً، أي إن صورة حافظ المتمثل الحصيف وصورة رفعت الجريء، أو الطائش، كانتا معروفتين بما يكفي لاختراع قصة على منوالهما. فواحدة من وظائف هذه الرواية التي ربما كانت مطلوبة آنذاك إظهار تردد حافظ تجاه الانقلاب على رفاق الأُمس، وأنهم لم يتركوا له خياراً آخر، وأنه بالمعنى الفردي التقليدي سيكون جباناً في ما لو رضخ في مواجهة فُرضت عليه. ووفق هذا التأويل، لم يكن لديه حيلة سوى ما فعل، والمسؤولية هي على الرفاق الذين أجبروه على فعل ما يكره.

أما توبيخ رفعت شقيقه حافظ، فيجعله شريكاً منذ التفكير في الانقلاب، أو حتى في التحريض على التفكير فيه.

حاز المسلسل التلفزيوني (ابتسم أيها الجنرال) الذي عُرض في شهر رمضان الفائت اهتماماً واسعاً من عموم السوريين، وواحد من الأسباب المهمة لمتابعته ذلك الخط الدرامي الخاص بالعلاقة بين المستبد وأخيه. وكما هو حال تفاصيل درامية أخرى، من المرجح أن متابعي المسلسل كانوا يبحثون في الثنايا عن الشبه بين ما يُعرض على الشاشة وما تابعوه في الواقع لجهة علاقة حافظ الأسد بشقيقه رفعت، ثم لجهة علاقة بشار بشقيقه ماهر.

ومما لا شك فيه أن في ثنايا الدارج بين السوريين كثير من المتخيّل والرغبوي في ما خصّ علاقة حافظ ورفعت، ثم علاقة بشار وماهر. المتخيّل منهما يتغذى على غياب المعلومة المؤثقة، واقتصارها على الشفوي والأقاويل التي لا تخضع للتحقيق أو لقراءة مغزاها قبل أن تأخذ طريقها لتصبح كأنها من حقائق المرويات. أما الرغبوي فتنسج حكايها رغبات متناقضة أو متضاربة في معظم الأحيان، فهناك الرغبوي الصادر عن مؤيدي الأسدية بتباين تفضيلاتهم بين هذا الشقيق أو ذاك، أو ربما التوفيق بينهما. وثمة أيضاً رغبات المناوئين للأسد، غير المنزهين بأكملهم عن تفضيلات بعضها مزاجي، وبعضها يتدرّج بالواقعية السياسية.

ربطاً بذلك سنحاول -فضلاً عما يتيسر من وقائع معروفة- قراءة دلالات بعض الأقاويل، ودورها في زمنها، وفي سياق تشكيل السرديات المتداولة عن الشقيقين وعن حكم الأسد. ونسجّل في هذا السياق أن حقبة الأسد حوّلت سورية إلى ثقب أسود في ما يتعلق بشقّي أنواع المعرفة، وأن التنظيم الاستخباراتي القائم على السرية صار معتمداً على مناجي

(2) المقصود هو المؤتمر القومي الاستثنائي لحزب البعث الذي دعا إليه صلاح جديد. بهدف رئيس هو استعادة السيطرة على الجيش من قبضة الأسد وزير الدفاع آنذاك. عقد المؤتمر بدءاً من 30 تشرين الأول 1970 وحتى 12 تشرين الثاني/ نوفمبر من العام نفسه، وفي نهايته قام حافظ الأسد بانقلابه، واعتقل رفاقه في الحزب والدولة.

(1) كاتب سوري.

الأدوار بين الشقيقتين، فيما الرضوخ بلا شروط ل(السياسي) حافظ، أو مواجهة (المقاتل) رفعت، وقد باتت إقطاعيته العسكرية تحظى من دون سواها بدعم غير محدود.

نميل إلى الاعتقاد بأن مسألة التوريث، ومنزلة رفعت فيها، لم تكن واردة في سنوات حكم الأسد الأولى وصولاً إلى نهاية السبعينيات. وهناك زمن لم ينل اهتماماً كافياً بين انقلاب حافظ عام 1970 وحرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973، وهي المدة التي نتوقع أن يكون انشغل فيها بترتيب سيطرته على الحكم، ولم تكن خريطة رجالاته قد اتضحت كما سيحدث لاحقاً. لكن من المرجح أن تلك الترتيبات التي يدعّم جزء منها منزلة رفعت، لم تكن مُرضية لعلي حيدر الذي أشيع ف 1971 أنه استاء من حافظ، وذهب إلى جبلة، حيث راح يعبر عن غضبه أمام الناس، وسارع حافظ إلى إرسال من يسترضيه ويعيده إلى منصبه في دمشق.<sup>(4)</sup>

وكي نضع الأمر في سياقه، كانت تجربتنا سرايا الدفاع والوحدات الخاصة بمنزلة استهلال سبق انقلاب الأسد لإنشاء ميليشيات تتغول على حساب القوات النظامية، قبل بروز البعد الطائفي لظاهرة الميليشيات. فمن المعلوم أن الجيش قائم بكتلته العددية الكبرى على التجنيد الإلزامي الذي يعكس التركيبة الديموغرافية للبلد، في حين سمح تشكيل الميليشيات بممارسة انتقائية لجهة اختيار منتسبها. وهنا ظهر تمايز آخر بين حافظ ورفعت، هو التمايز الظاهري بالطبع بين رجل الميليشيات ورجل الجيش، فحافظ هو القائد الأعلى للجيش بموجب الدستور الذي فصله على قياسه، بينما رفعت وعلي حيدر يمثلان الميليشيات، قبل بروز آخرين ضمن هذه الظاهرة بعد حرب تشرين/ أكتوبر.

ومن المعلوم أن رفعت تسلم قيادة سرايا الدفاع بعد إقصاء اللواء محمد عمران الذي كان قد أسسها في أواخر عام 1964، وبقيادة رفعت شاركت السرايا في انقلاب شباط/ فبراير 1966، وقد لا يكون بلا دلالة أنها آنذاك تولّت الهجوم على مبنى الحرس القومي، وهو الرمز العسكري المباشر للبعث. يُنسب إلى سرايا الدفاع المشاركة في عام 1969 في إنهاء حقبة رجل الاستخبارات القومي عبد الكريم الجندي الذي قيل إنه انتحر، وثمة شكوك حول هذه الرواية يتوزع أصحابها بين القول إنه قُتل، أو أُجبر على الانتحار.

يوضّح سرد الوقائع السابقة على انقلاب حافظ أن رفعت كان شريكاً في لعبة السلطة، وفي تصفية الحرس القومي ثم رجل الاستخبارات الأقوى، وما لهذا من تأثير لجهة تمكين حافظ بوصفه وزيراً للدفاع يُمسك بالثقل العسكري الباقي، مع التذكير بما صار شائعاً لدى المعارضين لجهة أن الأخير صنّ بالتضحية ولو بجزء من إقطاعيته العسكرية للدفاع عن البلد في حرب حزيران/ يونيو 1967. لكننا نستبعد أن تكون شراكة الأخوين في تلك السنوات هادفة إلى الانقلاب الذي حدث لاحقاً، بموجب ما صار شائعاً أيضاً عن تديبر الأسد مبكراً للانقلاب على رفاقه، إلا أن شراكة الأخوين كانت تمضي قدماً للاستحواذ على مفاصل القوة الأهم، وكان لا بد لهذا السياق من الوصول إلى ما آل إليه فعلاً.

ومن المؤكّد أن التطهير المبكر لشراكة الأخوين شابه كثير من المبالغة، وهي مبالغة لا تخلو من وظيفة، فالإعلاء من شأن شراكتها ينطوي على التقليل من شأن شراكات أخرى أسهمت في انقلاب حافظ؛ إما بالتواطؤ معه أو بعدم التصدي له.<sup>(3)</sup> لن يتأخر الوقت حتى يصبح مفهوماً من قبل رجالات الجيش والسلطة الآخرين أن الإعلاء من رفعت يعني الغض من قيمة الباقين، وهو فحوى السلطة الجديدة التي لا تقبل بالشراكة خارج العائلة الحاكمة. ومن هنا كان على رجالات السلطة، قبل عموم السوريين، استيعاب قسمة

(3) يذكر باتريك سيل المقيّمين من حافظ، ولعبوا دوراً في الاستيلاء على السلطة، وهم رفعت الذي كان مسؤولاً عن أمن العاصمة، ومصطفى طلاس وناجي جميل مدير العمليات الجوية، ومحمد الخولي مدير مخابرات القوى الجوية التي تولّت مهمة اعتقال الموالين لصالح جديد في الحزب والجيش والحكومة. ونلاحظ غياب اسم علي حيدر قائد الوحدات الخاصة، والتي سيُنظر إليها لاحقاً كميليشيا منافسة لسرايا الدفاع التي يرأسها رفعت، وربما لم يبرز دور حيدر وضباط آخرين لأن الانقلاب تم بسهولة شديدة. باتريك سيل، الأسد: الصراع على الشرق الأوسط، ط 10، لبنان: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (2007)، ص 268.

(4) بقي شائعاً عن علي حيدر أنه موال لحافظ الأسد. وأن العلاقة بينهما تسمح له حتى بتوجيه انتقادات لا يدفع ثمنها باهظاً كما هو حال آخرين. من ذلك ما أشيع عن موقفه المتحفظ من توريث بشار السلطة، وهناك حادثة مروية عنه تكشف عن معارضة ضمنية لتوريث باسل من قبل، إذ يُروى أنه في عشاء واسع على شرفه في حلب عام 1987، حضره مسؤولو المدينة، قال في سياق حديث إن البلد مليء بالفقر بينما الخديوي ذاهب لتدشين منشآت دورة المتوسط.

## ثالثاً: الأسد الفاسد، الأسد النظيف

أخرى.<sup>(6)</sup>

بفضل الدعم المالي الخليجي والجزائري والليبي أيضاً، شهدت الخزينة العامة وفرة غير مسبوقه، أقله منذ انقلاب البعث وتأثيره السلبي في النشاط الاقتصادي عامه والصناعي خاصة.<sup>(7)</sup> الحديث هنا عن منتصف السبعينيات، أي الزمن الممتد بين حرب تشرين/ أكتوبر ودخول قوات الأسد إلى لبنان، وعلى الرغم من قصرها إلا أنها شهدت عدداً من التطورات، منها على سبيل المثال إعلان حافظ في نهاية حرب تشرين أن خياره هو السلام، ما يعني اعترافاً بإسرائيل وطيّ شعارات رفاقه السابقين الراديكالية حول صراع الوجود معها.<sup>(8)</sup>

بينما كان أنور السادات صريحاً في رغبته في أن تكون حرب تشرين آخر الحروب، كان حافظ يعمل وفق القناعة ذاتها موارية، وكان لا بد لهذا التغير من أن يترك تأثيراً واضحاً، وإن لم يُقرأ بانتباه في وقته. وإذا جمعنا تدفق المساعدات التي من ضمن أهدافها ترميم الخسائر في الجيش، وعدت تلك الحرب الأخيرة، فإن أوجه الإنفاق المتوقعة من هذا النمط السلطوي هي تلك المعروفة. فالجيش بمعناه الواسع راح يتعرض لتهميشٍ تختصرُ حاله تسليحاً وكرامةً التسمية التي صارت دارجة (جيش أبو شحاطة). وفي المقابل راحت الميليشيات مثل سرايا الدفاع والوحدات الخاصة والفرقة الثالثة تشهد انتعاشاً على صعيد التسليح الجيد، وعلى صعيد المكافآت الممنوحة لمتطوعيها أو لمنتسبيها الذين يُنتقون من بين الذين صاروا في سنّ التجنيد الإلزامي، ولم تكن العوامل الطائفية أو الإثنية بعيدة عن تلك

كانت حرب تشرين/ أكتوبر تنويجاً لمساعي حافظ من أجل اكتساب الشرعية، فهو دخل الحرب مبادراً فيها مع مصر بثقلها العربي، واستمر في حرب الاستنزاف بعدما قبل السادات (بمبادرة أميركية) فصل القوات على الجبهة المصرية. الأهم رمزياً أن الأسد استعاد القنيطرة، ولو بموجب اتفاق فصل القوات لا بالقتال، وأزاح عن كاهله برمزية استعادتها فضيحة الانسحاب العشوائي لقواته منها في حرب 1967، سواء كان هو الذي أمر بانسحابها كما هو متداول أم أن ذلك يعكس حالة عامة من الفوضى في الجيش.

كانت الحرب مناسبة لخروجه واكتسابه منزلة إقليمية ودولية، فقد كانت بمنزلة استهلال فعلي لعلاقته مع المحيط العربي، ولا يغيب البعد المذهبي، بما أن هذا المحيط يغلب عليه المذهب السني بينما ينحدر هو من المذهب العلوي. كذلك كانت الاتصالات الدولية التي بدأت مع شرارة الحرب، ثم المفاوضات والوساطات الدولية من أجل فكّ الاشتباك وفصل القوات، مدخلاً إلى الاعتراف الدولي بزعامة الأسد، وبخاصة لجهة العلاقة بالغرب وبالولايات المتحدة التي كان يعاديا بشدة رفاقه القدامى الأكثر راديكالية.

بدءاً من حرب تشرين/ أكتوبر 1973 ستصبح رائجة صورة دول الخليج التي تقدّم المساعدات المالية للأسد بل يمكن تأكيد قدوم هذه المساعدات خلال الشطر الأعظم من حكم الأسدين؛ الأب والابن، إذا احتسبنا سنوات انقطاعها وسنوات تدفقها الذي لم يكن دائماً باتفاق وتنسيق بين دول الخليج. وينبّه ميشيل سورا بحرص حافظ الأسد على علاقته بالمملكة العربية السعودية التي (هي أهم ممول لنظامه)<sup>(5)</sup>، وهذا قد يكون صحيحاً على صعيد الحجم الكلي للمساعدات الذي لم يُكشف عنه إطلاقاً في أي وقت، أما على صعيد استمرار تدفق المساعدات، فليست السعودية في المرتبة الأولى بسبب ما تخلل العلاقة معها أحياناً من خلافات حادة لم تحضر مع دول خليجية

(6) على سبيل المثال، بينما راحت المساعدات تتناقص وتقطع مع أواخر السبعينيات، من دول مثل السعودية والكويت... بقيت المساعدات الإماراتية مستمرة حتى منتصف الثمانينيات، ومن المعلوم أن المساعدات الإماراتية عادت أيضاً بحماس إلى الأسد الابن بعد انقطاعها لسنوات إثر اندلاع الثورة. أما إطلاق أول حزمة مساعدات عربية ضخمة فأنت بمقررات القمة العربية في الجزائر في 26 تشرين الثاني/ نوفمبر 1973، حيث تعهد الحاضرون بـ(تقديم جميع أنواع الدعم المالي والعسكري للجبهتين لسورية والمصرية من أجل استمرار نضالهما ضد العدو الصهيوني)، و(القيام بإعادة تعمير ما دمرته الحرب من أجل رفع الروح النضالية عند الشعوب العربية).

(7) في دلالة على الوفرة نصّت الخطة الخمسية الرابعة (1976-1980) على استثمار 13.5 مليار دولار، وبالمقارنة كانت الخطة السابقة عليها قد نصّت على استثمار مليار دولار.

(8) في عدد من أحاديثه للصحافة، خاصة مع وسائل إعلام عربية دأب الأسد على التذكير بمقولته تلك، وبأنه أطلقها مبكراً، وقد أعيدت إلى الواجبة مع انطلاق محادثات السلام في التسعينيات لذا هناك ظنٌ لدى بعضهم أنها ابنة الموافقة على مفاوضات السلام، هو، على سبيل المثال، أكد مجلة نيوزويك في شباط/ فبراير 1975 على أن عودة إسرائيل إلى حدود الرابع من حزيران/ يونيو تعني إبرام معاهدة سلام نهائية، مشيراً إلى أن هذا ليس بالموقف الجديد له.

(5) ميشيل سورا، سوريا الدولة المتوحشة، ط1، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017)، ص29.

في المدة ذاتها راح رفعت يتقدّم إلى الواجهة في المستويات كافة، ففي عام 1975 عُيّن رئيساً للمحكمة الدستورية، وصار عضواً في القيادة القطرية، رئيساً لمكتب التعليم العالي فيها، ليكشف أيضاً عن هوس بالحصول على شهادة دكتوراه في الاقتصاد، وأخرى في التاريخ، فضلاً عن شهادات دكتوراه فخريّة، وليؤسس لاحقاً (رابطة خريجي الدراسات العليا). على هذا الصعيد قدّم رفعت نموذجاً في الفساد أيضاً، لمعرفة السوريين بأن مؤهلاته العلمية لا تسمح له بالحصول على هذه الشهادات بل كان من المتداول على نطاق واسع اسمُ الشخص الذي كتب له إحدى أطروحتي الدكتوراه.

إذا حاولنا اختصار صورة رفعت آنذاك، فهي صورة المنتشي بامتيازات السلطة، والمتجرّد من الروادع الأخلاقية. وقد كان واعياً على الأقلّ بجزء من صورته الدارجة، وسعى إلى استغلالها والتركيز فيها على جوانب تستهوي شريحة من المراهقين والشباب لا تستهويهم صورة حافظ المبالغ في (زهده) و(تقشّفه) مقارنة بأخيه. هكذا مثلاً حاول تلطيف سلطوته بقناع (القبضاي) الشعبي، والترويج لهوسه بالنساء بوصفه دونجواناً مرغوباً فيه. ينسجم مع القسمة ذاتها ما راح يروج عن تفضيل رفعت للاقتصاد الرأسمالي بداعي فساده فحسب، بينما يتمسك حافظ ب(الاشتراكية) المستلهمة من تجارب المعسكر الشرقي مع كل مساوئها، ووصلت القسمة -بحسب ما كان رائجاً- إلى احتساب رفعت مقرّباً من أمراء الخليج الذين يُنظر إليهم بسلبية، من دون التوقف عند واقع اعتماد حافظ على أموال الخليج وكونه عزّاب العلاقة معه.

#### رابعاً: رفعت العلويّ، حافظ السنّي

كتب اللبنانيون وأفاضوا في الحديث عن حقبة وصاية الأسد على بلدهم، بخلاف السوريين الذين لم يعطوا الحدث حقه من الاهتمام، ربما لأنه يبدو أقلّ تأثيراً من محطات داخلية مأسوية. في حزيران/ يونيو 1976، بعد شهر من إرسال وحدات من جيش التحرير الفلسطيني وقوات الصاعقة للذين يأتّمران بتعليمات الأسد، دخلت قواته إلى لبنان علناً بطلب من الرئيس اللبناني سليمان

الانتقائية<sup>(9)</sup>. ينبغي الانتباه جيداً إلى أن حافظ الأسد احتفظ بالسيطرة على سلاح الطيران بعيداً عن لعبة الميليشيات، وإلى أن أيّاً من تلك الميليشيات لم يمتلك سلاحاً يواجه سلاح الطيران، ومع احتفاظ إسرائيل الدائم بتفوق جوي ساحق لا يصعب فهم أن مهمة سلاح الطيران لدى الأسد هي الدفاع عن سلطته، ثم إنه بوصفه ضابطاً طياراً أصلاً يدرك جيداً التفوق الجوي الإسرائيلي بالتزام أميركي حرصت روسيا على عدم الإخلال به، ما يجرد سلاح الطيران السوري من أي مزية قتالية خارجية.

مع انتهاء الحرب، وظهور الوفرة المالية، بدأت صورة رفعت الفاسد بالظهور، ومقارنة ب حافظ النظيف. كانت أولى شائعة تناولت رفعت في هذا الجانب مبكرة جداً، إذ يُقال إنه بعد شهر من انقلاب أخيه استولى على مزرعة قرب الزبداني تعود ملكيتها إلى قيادي من الصف الأول من بين الرفاق القدامى الذين نُجِّهم في السجن، وأن إعلاناً في جريدة (الثورة) نُشر آنذاك يدّعي فيه رفعت فقدان سند التمليك الذي يثبت ملكيته المزرعة في خطوة إجرائية تسبق تثبيتها باسمه. في منتصف السبعينيات، وكان استيراد السيارات بأنواعها كافة ممنوعاً، ارتبط اسم رفعت بإدخال شاحنات صغيرة من طراز (سوزوكي)، حيث قيل إنه أدخل الصفقة استثناء من المنع الساري.

كان حافظ الأسد يظهر في مناسبات داخلية وأمامه علبه سجائر (الحمراء) المصنوعة محلياً، في حين راح رفعت يظهر مدخناً أفخر أنواع التبوغ العالمية، ومحتسباً أفخر أنواع الكحول الأجنبية أيضاً. كذلك راح يظهر هوسه بملاحقة النساء، فوق ما سيكون معلوماً لجهة زيجاته المتعددة. يجوز القول إن رفعت راح يستمتع بمغانم السلطة كافة، في حين أراد حافظ لنفسه صورة الزاهد في تلك المغانم. وبحسب الصورة الدارجة عن الاثنين، يبدو رفعت غير ميالٍ برواج صورته كفاسد، وبما كان كفيلاً بالتغطية على الأموال التي في حوزة شقيقه التي لم يبدأ الحديث عنها بين السوريين حتى التسعينيات، لينتعث بمقتل باسل والأقاول عن مليارات الدولارات التي كانت باسمه في بنوك عالمية.

(9) أوردنا أسماء الميليشيات على سبيل المثال، ومن المتوقع أن فكرة تحويل الجرس الجمهوري إلى ميليشيا قد بدأت في المدة ذاتها، وثمة ميليشيات بقيادة شخص من بيت الأسد، هي (سرايا الصراغ)، ظهرت لسنوات قليلة ثم اختفت، ولم نعرّف على معلومات عن تاريخ تأسيسها ونشاطها.

أشدّ، أي (لبننة) سورية، بمعنى بعث المسألة الطائفية فيها، والتي حدث بعضٌ منها على الأقل برضا حافظ.

بينما ظهر حافظ منصرفاً إلى متابعة السياسة الخارجية، خصوصاً الشأن اللبناني الذي صار ملقاً أسدياً، تولى رفعت الجانب السوري من اللبننة بالمفهوم الذي أشرنا إليه الذي تزامن تقريباً مع بدء عضويته في القيادة القطرية لحزب البعث. راح رفعت يشكّل لنفسه كتلة ضمن حزب البعث ستُعرف سريعاً باسم (جماعة رفعت)، وهي مجموعة من الأشخاص لا يجمعها تنظيم حقيقي، وإنما تتمحور حول شخصية (القائد) رفعت، ووصف (القائد) أت على الأرجح بتوجيه شخصي منه، إذ يُستبعد أن يتجرأ سواه على اقتراحه بوجود شقيقه حافظ.

اخترع صراعٌ ضمن حزب البعث الحاكم بين جماعة حافظ وجماعة رفعت، يقود الأولى منهما الأمين القطري المساعد نيابةً عن الشقيق الأكبر، وشيئاً فشيئاً راح الفرز بينهما يستقر على زج رفعت العلويين أولاً، ثم غيرهم من أبناء الأقليات المذهبية، في المفاصل والمناصب الحزبية، بينما يدين البعثيون السنة معظمهم بالولاء لحافظ، وصار نموذجاً شائعاً وجود أمين للفرع أو لشعبة الحزب من السنة الموالين لحافظ، وإلى جانبه نائب غير سني موالٍ لرفعت ينافس رئيسه في السطوة أو يتفوق عليه فيها.

القائد رفعت، بالتعبير الذي صار رائجاً، سرعان ما سيغزو المجال الاستخباراتي والمؤسسات المدنية. بالطريقة ذاتها تماماً، ثمة رئيس فرع مخابرات يُعيّن بالطرق المعمول بها آنذاك، إلى جانبه نائب من جماعة رفعت، هو إما منافس له بشراسة، أو يفوقه سلطة في الواقع. في المؤسسة العامة للمياه مثلاً قد نرى مديراً عاماً عُيّن عبر الحزب وموافقة أجهزة الاستخبارات، وفي المكتب المجاور نائب له من جماعة رفعت، لا يسيطر فقط على المؤسسة وموظفيها، بل يمارس سلطته بفجور على المواطنين المضطرين إلى المرور بمؤسسته، واستخدام ضمير الملكية هنا مقصود بدلالته.

بالطبع لم تكن مصادفة أنّ مسؤولي الظل، بالاسم الرمزي (جماعة رفعت)، كان كثر منهم ينحدر من المذهب العلوي. بصيغة أخرى تربط بين ما سبق، كان ثمة مسؤول

فرنجية آنذاك، وهو جدّ المرشح الحالي للرئاسة الذي يحمل الاسم نفسه. دخلت قوات الأسد الحرب إلى جانب تنظيمات (الجمية اللبنانية)، وهي تنظيمات (اليمن المسيحي) بتعبير مستخدم أيامها، ضد (الحركة الوطنية اللبنانية)، وهي مجموعة من التنظيمات السنية والدرزية والشيعية تحالفت في الحرب مع المنظمات الفلسطينية.

تغيرت الاصطفافات مرات عدة في أثناء الحرب، لكن لحظة دخول حافظ الأسد فيها كانت تتضمن ذهابه إلى النقيض من المزاج الشعبي السائد عربياً، المزاج المتضامن مع التنظيمات الفلسطينية والمتضامن مع تحالف (الحركة الوطنية اللبنانية) بوصفه تحالفاً ذا توجهٍ عروبي مقارنة بـ (اليمن المسيحي) المصنّف انعزالياً. الحدث الأبرز (الصادم) الذي استهلّ به الأسد تدخّله هو حصار مخيم تل الزعتر طيلة 52 يوماً بدءاً من 22 حزيران/ يونيو 1976، وانتهى الحصار بوساطة عربية قضت بخروج المدنيين من المخيم الذي كان يتعرض لقصف ومحاولات اختراق عنيفة، وآلت تلك الوساطة عملياً إلى سقوط المخيم، وارتكاب قوات الأسد مع الحلفاء اللبنانيين جرائم مروّعة مثل بقر بطون الحوامل واغتصاب النساء وقتل الأطفال أو بتر أذرعهم كي لا يتمكنوا من حمل السلاح عندما يكبرون.

في تعبير ساخر عن الواقع آنذاك ثمة عبارة قالها إسحاق رابين هي أنه لا يرى حاجة إلى التشويش على الجيش السوري وهو يقتل (إرهابي عرفات)، لذا ليس مجازاً القول إن حافظ الأسد كان وقتها في خندق واحد مع إسرائيل، وأنه بذلك بدّد رصيده المكتسب من حرب تشرين/ أكتوبر الذي كان قد طوى إلى حدّ كبير الاحتجاجات والجدل اللذين ثارا بسبب سابقة استلامه الرئاسة وهو غير سني<sup>(10)</sup> كان مطمع الأسد في السيطرة على لبنان أكبر من حساباته السابقة لاكتساب الشرعية لدى السوريين، وإذا كان يسعى بتعبير مجازي إلى (سوّنة) لبنان الذي كان قبل الحرب بلدّ الحريات بإفراط، فإن الاتجاه الآخر قد يكون سالماً بسهولة

(10) لم يكن محسوماً أيضاً أن العلويّ مسلم، ما اضطر حافظ الأسد للجوء إلى الإمام موسى الصدر (رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان) الذي أصدر فتوى تنص على أن العلويين فرقة من المسلمين الشيعة. وكانت الاحتجاجات، خاصة في حماة، قد ثارت ضد مسودة الدستور التي طرحها الأسد في نهاية كانون الثاني/ يناير 1973. ولم تتضمن كون رئيس الجمهورية مسلماً، ما أدى إلى تراجع وإعادة ذلك الشرط الموجود في الدساتير السورية السابقة. للمزيد راجع: باتريك سيل، الأسد: الصراع على الشرق الأوسط، ص 279.



شكلي -سني غالبًا- محسوب على الحزب أو المخابرات مثل كل أصحاب المناصب من أدناها إلى أعلاها، بينما نائبه صاحب السطوة الفعلية علوي. السني منهما محسوب على حافظ الأسد، لأنه يرأس الأجهزة التي تتولى تعيينه كافة، بينما العلوي محسوب على رفعت الذي راح تمدده يُقرأ تسلطاً للعلويين على كافة مفاصل الدولة، أي إنه يتعدى الإمساك بالسلطة المركزية. في الواقع بقيت فقط إقطاعيات قليلة بعيدة تمامًا عن تغلغل القائد رفعت، مثل الوحدات الخاصة برئاسة علي حيدر، والمستويات العليا للمخابرات العسكرية ومخابرات القوى الجوية اللتين يرأسهما علي دوبا ومحمد الخولي، وهي إقطاعيات مكتفية أصلاً على صعيد الاستثمار الطائفي، وبغنى عن مؤازرة رفعت العلوي.

## خامساً: رجل المؤسسات والخطابات: رجل الأفعال والدم

في أثناء القطيعة بين الملك حسين وحافظ الأسد في الثمانينيات، بثّ التلفزيون الأردني مقابلة مع سوريين هارين كانا يخدمان في سرايا الدفاع، وشاركا في مجزرة سجن تدمر في السابع والعشرين من حزيران/ يونيو 1980. أعادت صحيفة (العربي الجديد) نشر الشهادتين اللتين استُخدما ضمن الأدلة في محاكمة رفعت في سويسرا، حيث تنص أقوال الشاهدين على مسؤولية تنفيذية لزوج ابنته معين ناصيف، قائد اللواء 40 في سرايا الدفاع، وهو ما يحتمل رفعت المسؤولية المباشرة عنها.<sup>(12)</sup> وبحسب الصورة المعروفة عنه؛ من المؤكد أنه كان سيفخر بتلك المسؤولية، لكن ليس أمام المحاكم الأوروبية التي ساقته إليها أقدار الشقاق بينه وبين أخيه.

لطالما (بُرت) مجزرة سجن تدمر بأنها ردّة فعل سريعة وساخنة على محاولة اغتيال حافظ الأسد أتهم الإخوان بتدبيرها، وأنقذه من الموت فيها حارسه الشخصي. وهذا التبرير يؤدي بقصد أو من دونه عددًا من الأضرار، منها تبرئة حافظ من المسؤولية عنها، وجعل تصرف رفعت في موقع ردّة الفعل على استهداف شقيقه، على الرغم من أنه

بين عامي 1976 و1979، أكثر من أي وقت سابق، جُهِز الميدان للمواجهة المقبلة. الاستثمار الطائفي الذي باشرته السلطة عبر (شيطانها) الصاعد سيقدّم المبررات، وأحياناً وسيلة الإيضاح الكافية لخطاب الطليعة المقاتلة ولخطاب الإخوان المسلمين. الحديث عن تعاطف شعبي نالته الطليعة المقاتلة في بعض المدن لا يمكن فهمه من دون ذلك؛ لا يمكن فهم شعبية عدنان عقله لدى قسم من السنة، في بعض المدن لا كلها، من دون فهم صعود شعبية رفعت الأسد. كان الاستثمار الطائفي متعمداً، ومن بين أهدافه صورة رفعت العلوي التي يُفترض بها خدمة صورة حافظ (غير الطائفي)، والتغطية على تدخله في لبنان، وبالتأكيد لم تكن غايته استجلاب تطرف أو عنف مقابل، فما يسير باليات الواقع (كأفعال وردات أفعال) ليس مدبراً أو متوقعاً كله، وهكذا آل الاستثمار إلى المواجهة مع المعروفة بين الأسد والإخوان، المواجهة التي ستمتحن ما راكمته صورة رفعت منذ انقلاب أخيه.<sup>(11)</sup>

ثمة حادثة لاحقة معروفة جداً في أثناء المواجهة مع الإخوان، هي قيام مظليات رفعت بنزع الإشارات والحجابات عنوة عن رؤوس النساء في شوارع دمشق، وهي خطوة معنوية في الطائفية والعنف والتدخل في

ثمة حادثة لاحقة معروفة جداً في أثناء المواجهة مع الإخوان، هي قيام مظليات رفعت بنزع الإشارات والحجابات عنوة عن رؤوس النساء في شوارع دمشق، وهي خطوة معنوية في الطائفية والعنف والتدخل في

(12) لم نثر على مرجع بحثي يؤثّق هذه الحادثة المعروفة على نطاق واسع، وثمة تاريخان متداولان على شبكة الإنترنت، هما (أيلول/ سبتمبر 1980 وأيلول/ سبتمبر 1981). لكن ليس هناك خلاف على أن اللواتي أطلقن لفضل ذلك في دمشق كنّ مطلبات الدورة الثانية، وكانت الدورة الأولى قد حملت اسم المظلة خليل التي ماتت في أثناء تدريبات الغفر بالمظلة.

(13) بحسب ما نشرت الصحيفة المذكورة في 9 تشرين الأول/ أكتوبر 2017: ((حصل "العربي الجديد"، خلال متابعته للفضية التي أقامها مكتب منظمة "تريال إنترناشيونال" ضد رفعت الأسد، شقيق حافظ الأسد وعم رئيس النظام السوري الحالي، بشار الأسد، في سويسرا، على إفادات خاصة مصورة لمقاتلين في صفوف سرايا الدفاع، يذكرون فيها مشاركتهم في مجزرة سجن تدمر في عام 1980. وتستخدم المنظمة هذه الإفادات التي كان بها التلفزيون الأردني في الثمانينيات، من أجل إثبات تورط مجموعات تابعة لجيش النظام السوري في المجزرة)).

(11) تجدر الإشارة إلى أن الاستثمار الطائفي الفجّ الذي استُهل برفعت سياسيًا استوفى على نحو مختلف مع شقيقه جميل، حيث أسس الثاني في عام 1981 جمعية (الإمام المرتضى)، ونقل ميشيل سورا عنه هدف (تطوير شخصية علوية)، من ضمن هدف أوسع هو توحيد العلويين لجعلهم طائفة سياسية على نمط تجربة الموانة في لبنان، ميشيل سورا، سوريا.. الدولة المتوحشة، ص.33.

ثم أدخل مقرر اللغة العربية لغير المتخصصين ضمن المقررات الجامعية.

لسنوات لاحقات على المواجهة، في الثمانينيات بخاصة، كان يمكن قراءة شعارات على أسوار بعض الأبنية أو الجدر في حلب، تحيي أبطال الفرقة الثالثة أو قائدها شفيق فيّاض، أو تشيد بمغاوير الوحدات الخاصة وقائدها علي حيدر. تلك الشعارات كتبها منتسبو الميليشيات المُشار إليها، عندما استخدموا تلك الأماكن نقاطاً لتمرّكزهم في أثناء قمع المدينة التي تعرّضت بأكملها للتنكيل. ويشير ميشيل سورا في كتابه (الدولة المتوحشة) إلى مشاركة قوات الحرس الجمهوري في قصف مدينة حماة،<sup>(16)</sup> وبصرف النظر عن صحة ذلك فإن عدداً من الروايات يشير إلى مشاركة متعددة من قوات (النخبة) والمخابرات في قمع انتفاضة المدينة.

خلاقاً لعدد من المعطيات، ومنها حديث سورا عن مشاركة قوات الحرس الجمهوري، ستتفوق صورة رفعت وكأنه (البطل) الحصري لمجزرة حماة، فلا يُشار إلى مشاركة أمراء الميليشيات الأخرى ودورهم في المواجهة مع الإخوان. هكذا، ضمن المقارنة بين صورتَي الشقيقتين، تظهر صورة رفعت كرجل أفعال ودم، حينما كان شقيقه يحاول كسب ودّ الناس عبر المؤسسات المدنية والإعلام. وكان للمعارضين، ومن بينهم الإخوان، دور في تسليط الأضواء على رفعت بوصفه وكبلاً حصرياً للمجازر، الأمر الذي من شبه المؤكد أنه كان آنذاك يلاقي أهواء رفعت وحافظ معاً. فاحتكار صفة (الدوميّ) يجعل من رفعت حامياً أكبر للسلطة، ما ينسب إليه الفضل الذي يريد، وكان يريد حافظ أيضاً من أجل تبخيس قيمة إسهام علي حيدر وشفيق فيّاض وسواهما، ومنعهم من النظر إلى أنفسهم بوصفهم شركاء كبار في النصر وفي السلطة. وبالطبع يخدم هذا صورة حافظ، إذ يوحي بأنه ردع شقيقه عن مزيد من البطش.

بعد أقل من عشرين شهراً نُظر إليه بوصفه مسؤولاً عن جريمة إبادة أكبر كثيراً، هي مجزرة حماة.

قبل سنة بالضبط تقريباً من ذلك، ارتكب تنظيم (الطليعة المقاتلة) مجزرة مدرسة المدفعية في حلب، حيث قُتل عشرات طلاب الضباط العلويين على أساس طائفي معلّن. وكانت تلك المجزرة بمنزلة إعلان صريح من الطليعة المقاتلة عن الحرب ضد الأسد، إذ سبق المجزرة بعض العمليات الفردية الصغيرة التي لم تُعرف الجهة المسؤولة عنها، وكان ما يتسرّب من أوساط السلطة يشير إلى شكوك حول مسؤولية (البعث العراقي) أو تنظيمات يسارية راديكالية مثل (المنظمة الشيوعية العربية).<sup>(14)</sup> انفلت الوحش الطائفي مع مجزرة مدرسة المدفعية، وانكشف معه ما كان مُعداً من أجل هذه اللحظة وما لم يكن مُعداً.

من المؤكد أن حافظ الأسد أحسنّ بخطر حقيقي يهدّد حكمه، وأدرك أن التأييد الذي يناله الإخوان ضمناً لدى شرائح واسعة فيه من النعمة على حكمه ما يفوق تأييد الإخوان. في دلالة على الضعف واستشعار الخطر، سيجاول حافظ إظهار اهتمام بالداخل، بعد انصراف كلي عنه لسنوات، فلا يفوّت فرصة للظهور والتحدّث والخطابة. والأصحّ أنه كان يوعز باصطناع الفرص لتكون لديه مناسبة للتحدّث، وهكذا توالى مؤتمرات المنظمات، مثل اتحاد العمال واتحاد الفلاحين والشبيبة والطلائع... إلخ. كان همّ حافظ أن يثبت أمرين؛ وجود مؤسسات مدنية للسلطة تمثّل فئات المجتمع كافة، وأنه يحظى بدعمها جميعاً، وأنّ الإخوان تالياً محض (عصابة) معزولة.<sup>(15)</sup> لمن ينتبه جيداً، كانت خطابات الأسد تحفل بالترّكز والإنشاء الركيك، وذلك بسبب خروجه عن النص الذي أصبح عادةً سيقلدها في ما بعد على نحو أردأ وريثه بشار. كان هدف الارتجال أن يثبت حافظ تمكّنه من العربية، بوصفها لغة القرآن، وعلى ذلك بدأ التلفزيون فجأة مهتم ببثّ البرامج التي تُعنى باللغة،

(14) بدأت تلك العمليات باغتيال العقيد علي حيدر، وهو ضابط آخر غير قائد الوحدات الخاصة، في تشرين الأول/ أكتوبر 1976، ثم اغتيال رئيس جامعة دمشق محمد الفاضل في شباط/ فبراير 1977.

(15) تحتمل إقامة تلك المؤتمرات مغزى يُضاف إلى مواجهة الإخوان، هو الرد على التحركات النقابية، ومنها بعض الإضرابات، وهذه الاحتجاجات غير المترابطة أو المنتظمة ضمن اتحاد يجتمع حدثت بعد دخول الأسد لبنان وصولاً إلى عام 1980، ويمكن القول إن إحكام السيطرة على النقابات جرى في ظل المذابح.

(16) سيريز نجم (الحرس الجمهوري) كميليشيا ذات دور يفوق الدور التقليدي بعد إقصاء رفعت وبروز مشروع توريث باسل، ويُشاع أن تقوية الحرس الجمهوري كانت بإشراف محمد مخلوف شقيق زوجة حافظ، وقد كان لسنوات برئاسة عدنان مخلوف وهو من أبناء عمومته.

## سادساً: الخائن الجاحد، الوفيّ المسامح

على العموم لم تصدر عن رفعت أي معلومة تتعلق بخيائها ما حدث في تلك الأيام، وآخر ما نُقل عنه خطاب لا ينسجم أبداً مع الصور الرائجة عن شخصيته، بل كان يحاول من خلاله درء بعض التهم التي سيقت من أجل إقصائه. ينقل باتريك سيل عنه من خطاب ألقاه في غداء لرابطة خريجي الدراسات العليا، حضره 500 شخص في مطعم فندق شيراتون دمشق، قوله: ((إن أخي لم يعد يحبني. وعندما يراني يكتشر، ولكنني لست عميلاً أمريكياً، ولست عميلاً سعودياً، ولم أأمر على بلادي... وعندما اتصلت بالأمير عبد الله ووافق السعوديون على مساعدتنا كان ذلك لأن سوريا بحاجة إلى المال. كنت أعمل من أجل سوريا، من أجل اقتصادها وحكومتها، فلماذا أدعى الآن عميلاً سعودياً وأمريكياً؟)).<sup>(18)</sup>

بموجب السردية التي روجها أزالام حافظ؛ نُفي رفعت أخيراً، ولُتي طلبه من الأموال لقاء رحيله، وكان المطلوب مبلغاً طائلاً أفرغ خزينة البنك المركزي، بل تبرّع معمر القدافي بسداد ما عجزت عنه خزينة البنك! وهكذا كُتبت في النهاية صورة حافظ الذي أراد حقن الدماء، وعفا عن شقيقه وهو قادر على الاقتصاص منه، مع التذكير بوفائه للذين كانوا في المقابل أوفياء له. ولا يغيب الاستثمار عن آخر تفصيل، فرمي فراغ الخزينة على رفعت ينطوي على تحميله مسؤولية الأزمة المعيشية التي تفاقمت في منتصف الثمانينيات، فضلاً عن إظهاره شخصياً كجشع بلا أخلاق أو مبادئ، وكأن أخاه صاحب أخلاق ومبادئ.

## سابعاً: الثنائية وقد أدت وظيفتها كاملةً

نميل إلى ربط إقصاء رفعت بالشروع في توريث باسل السلطة، وعلى ذلك كان ينبغي التخلص من تلك الثنائية التي تابعتها السوريون في السنوات السابقة، لأن صورة السلطة الجديدة لا تتسع سوى للأب وابنه. وترسيمة ثنائية الأب والابن مختلفة غالباً عن ثنائية الشقيقين، فهي تخلو من روح التنافس المفترضة في الثنائية<sup>(19)</sup> لمصلحة الاستمرار

انهارت صحة حافظ بدءاً من تشرين الثاني/ نوفمبر 1983، ونُقل إلى المستشفى ثم أُعلن أنه مصاب بالتهاب الزائدة الدودة، لتنبش الصحافة العالمية سجله الصحي، وفيه أنه استأصل الزائدة قبل عشرين عاماً. وفي أيام مرضه تلك تحرك رفعت على الأرجح لإثبات أنه الأجدر بخلافة أخيه، لا للانقلاب عليه كما هو شائع. يعزز من هذه الفرضية أن كاتباً منجراً جداً لحافظ مثل باتريك سيل يورد في كتابه (الأسد: الصراع على الشرق الأوسط) الآتي: ((ومن الإنصاف القول أنه من غير المحتمل أن يكون رفعت قد تطلعَ جدياً للحكم مكان أخيه. ومن الناحية النفسية فإنه كان يتوق بدلاً من ذلك إلى اعتراف أخيه بأهميته، وهذا شيء كان يشعر أن حافظ قد أنكره عليه منذ أيام طفولته)).<sup>(17)</sup>

في الواقع لم تعد نيات رفعت آنذاك ذات أهمية، فالرواية التي صارت سائدة هي أن استغلّ مرض أخيه، ولم يتأكد حتى من قابليته للشفاء، وقرر الاستيلاء على السلطة عداً نفسه الأجدر بها. لم يقدّم إعلام الشقيق الكبير أي تفسير على الإطلاق لما حدث، وتولّت شخصيات مقربة منه ترويج الروايات عن الشقيق الصغير الخائن الجاحد فضل أخيه، هو الذي لم يكن ليتبوأ أي منزلة لولاه.

في أواخر شباط/ فبراير 1984 كانت ضغوط حافظ على رفعت لتجريده من امتيازاته أولاً ولإذلاله ثانياً التي باشرها فور التحسن الذي طرأ على صحته، قد أتت ثمارها. استُفِرَّ الشقيق الصغير، ونزلت قواته لتسيطر على بعض المراكز الحيوية في دمشق. لكن ذلك كله حدث بعد مضي حوالي سنة من الترويج لصورة رفعت الجديدة، ومن التهديدات المبطنة بالقتل التي أشيع أن شقيقه أطلقها عمداً أمام بعض رجالات السلطة كي تصل إلى الشقيق الذي صار منبوذاً. وإذا كان رفعت قد تحرك في أثناء مرض شقيقه مدفوعاً باستحقاق خلافته فإن ذلك كله لم يكن غائباً عن بال الشقيق الذي استعاد من عافيته بما يكفي ليرتّب شؤون خلافته كما يحب، وعلى الأرجح كما كان يفكر من قبل، أي بتوريث ابنه باسل.

(18) المصدر السابق، ص 705.

(19) نعود إلى التأكيد أن التنافس لم يكن موجوداً داخل الثنائية نفسها، أي بين حافظ ورفعت، بل كان هناك تقاسم للأدوار قد لا يكون متفقاً عليه أو على تفاصيله طوال الوقت وعلى طول

(17) باتريك سيل، الأسد: الصراع على الشرق الأوسط، ص 693.



الذي يمثله الابن، ولو لأسباب بيولوجية. ولا يندر في ثنائية الأب والابن أن تحضر تدايير من نوع آخر، كأن تُرَوِّج (بموافقة الأب) صورة الابن الأكثر حداثة وعصرية، وأن تُستثمر هذه الصورة أيضًا لكسب ولاء شرائح عمرية تتوق إلى التغيير.

في أي حال، أحسنَ حافظ الأسد طوال الوقت استثمار صورة رفعت، وكان الأخير راضياً بالقسمة التي جعلت منه شيطان الأسدية الرجيم. ومن المتوقع أن الأول قد أدرك في وقت مبكر فوائد تلك القسمة، وأدرك وجود جمهور تستهويه لما فيها من تبسيط كحال الثنائيات عمومًا، ولما فيها من تلبية لرغبات متنوعة بتنوعه أيضًا. ومن المؤشرات على كونها مرغوبة من العموم تلك النظرة التي كانت رائجة بين السوريين إلى بشار وشقيقه ماهر، نظرة تضع الأول في موقع الأب والثاني في موقع العم. بناء على تلك النظرة ظهر لدى صقور الموالين عندما اندلع شعارُ (بشار إلى العيادة وماهر إلى القيادة)، وظهر لدى بعض المعارضين ميل إلى تبرئة بشار من العنف الذي استخدم ضد المتظاهرين برمي مسؤوليته على ماهر، وهو ما دفع بشار في خطاب مبكر إلى دحض ثنائية الشقيقين، والإعلان بوضوح أنه يتحمل مسؤولية القرار، أي قرار استخدام العنف.

إن إعادة التفكير في ثنائية حافظ - رفعت تنوحي فهمًا أفضل لحقبة هيمن عليها وجودهما معًا، مثلما تنوحي التخلص من التبسيط الذي تمثله الثنائيات التي تعود بمجملها إلى طفولة الفكر البشري بل إن جزءًا من طفولة الفكر البشري حاول تجاوز الثنائية من أجل تفكير أكثر تركيبًا وعمقًا، ولعلنا لا نخطئ إذ نقول -باستعارة منه- إن رفعت في أقصى حالات تمايزه عن حافظ، أو تمرده عليه بحسب بعض الروايات، يكون قد عصا الأمر ونقذ المشيئة، فهو تمرّد على أخيه، وتمرّده أتى موافقًا لمشيئة الأخير الذي أزعجت لديه لحظة توريت أبنه.

الخط. أما صورة التناقض التي تطلّ أحيانًا في صورة خارجية: هي الصورة التي تستهوي أنصار طرفي الثنائية، أو عموم متابعيها، لما تضيفه عليها من بعد درامي.